نقش إنشاء مضرب للحجاج وأبناء السبيل من عهد الخليفة المتوكل العباسي مؤرخ بسنة ٢٤٥هـ.

" دراسة وتحقيق "

د.محمد فهد عبد الله الفعر

تمهيـــد:

الكتابات والنقوش العربية أحد المصادر الرئيسة للمؤرخ والباحث وعالم الآثار على حدٍ سواء، فهي إما أن تضيف معلومات تاريخية على جانب كبير من الأهمية لم يـذكرها المؤرخون القدامى أو الباحثون المحدثون، أو تصحح خطأ كان شائعاً بين المؤرخين، أو ترجح رأياً على آخر، وهذه من المسلمات التي لا تحتاج إلى إثبات في ظل ما ظهر من دراسات كثيرة وبحوث عديدة عن الكتابات والنقوش وأهميتها، ولا يمكن حصرها في هذا التمهيد، لكن الذي نريد توضيحه هنا، هو أهمية هذا النقش الذي نقوم بدراسـة نصه هنا في هذا البحث المتواضع الذي يتحدث عن إنشاء مضرب للحجـاج وأبنـاء السبيل في مشعر عرفات بأمر من الخليفة المتوكل علـى الله العباسـي (٢٣٢ ـــ ٢٤٧هـ) سنة ٢٤٥هـ وبإشراف ابنه وولي عهده المستنصر بالله، ولم يشـر إليـه المؤرخون قديماً أو حديثاً، رغم أنهم أفاضوا كثيراً في إصلاحات الخليفة المتوكل سواء في مكة أو المدينة، أو الطرق المؤدية إليهما، وتأمينه لطرق الحج واهتمامـه بأمنهـا، وتعيينه لأكفأ الشخصيات التي تقوم على شئون الطـرق عامـة وطـرق المـدينتين المقدستين على وجه الخصوص.

ولذلك أرى أن لهذا النقش أهميته، لما يضيفه من إصلاحات لـم تـرد فـي مؤلفـات المؤرخين أو الرحالة، أو حتى الباحثين في العصر الحديث، فضلاً عن أنـه يزودنـا بحلقة مفقودة من حلقات كثيرة مفقودة في تاريخ البلد الحرام.

التعريف بالنقش ومكان العثور عليه:

عثر على هذا النقش في صيف عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م أثناء أعمال الحفر الذي كانت تقوم بها وزارة المواصلات السعودية لإصلاح وتوسعة بعض الطـرق فـي مشـعر عرفات (طريق رقم٩) ووصل إلينا سليماً، ونقل إلى مكتب الآثـار بمكـة المكرمـة وأصبح أحد مقتنيات متحف الآثار التابع لوزارة المعارف آنذاك (وزارة التربية التعليم حالياً)، وقد استطعت بفضل الله تصويره وقراءته بعد الحصول على إذن خاص بـذلك من سعادة وكيل وزارة المعارف لشؤون الآثار آنذاك، الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبـد العزيز الراشد، وزيادة في التوثيق وحفظاً للحقوق في أسبقية الدراسة والنشر، ظهرت له صورة موثقة بالقراءة والوصف دون دراسة في موسوعة آثار المملكـة العربيـة السعودية[1]،وقد نقش النص على حجر جرانيتي أبعاده٦٢×٣٨سم بـالخط الحجـازي المزوي المحفور حفراً غائراً، يتألف من خمسة عشر سطراً، ورد بها اسـم الخليفـة الأمر بإنشاء هذا المضرب وابنه وولي عهد المسلمين (على حد تعبير النص) محمـد

المنتصر بالله كمشرف على هذا العمل واسم المباشر لتنفيذ هذا المضرب وهو أحد موالي الخليفة المتوكل ويدعى عبد الله بن عمر.

النص:

١ – بسم الله الرحمن
٢ – الرحيم أمر عبد الله
٣ – جعفر الإمام المتو
٤ – كل على الله أمير المؤ
٥ – منين أطال الله بقاه محمد
٦ – الأمير المنتصر بالله ولي
٧ – عهد المسلمين بن أمير المؤ
٨ – منين أعزهما الله بعمارة هذا
٩ – المضرب لحاج بيت الله وابن
١٠ – السبيل لما رجا في ذلك من
١١ – ثواب الله والقربة إليه
١٢ – مما جرى على يدي عبد
١٣ – الله بن عمر مولى أمير
١٤ – المؤمنين في سنة خمس وأربعين ومائتين.

الأسماء الواردة بالنص:

ورد بالنص ثلاثة أسماء أولها: الخليفة الآمر بعمارة هذا المضرب وهو الخليفة جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٢٢٧ـ٢٣٢هـ/٨٤٢ـ٨٤٧م). وقتل في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين[٢] (٢٤٧هـ/٨٦١م).

ولم يكن الخليفة أقل شأناً ممن سبقه من خلفاء بني العباس، بل إنه اتبع نفس السياسة الحكيمة التي وضعها أخوه هارون الواثق عندما عيّن مشرفين على طرق الحج من أهل الكفاءة والثقة مما جعل المؤرخ محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) يشيد بهذه السياسة[٣]، فضلاً عما كان له من مآثر وصدقات واهتمام بشؤون الحرمين والطرق المؤدية إليهما، وهو ما لا يمكن حصره هنا، خاصة وأننا نتحدث عن منشأة محددة وردت بالنص أمر بعمارتها في مشعر عرفات وهي" مضرب لحاج بيت الله وابن السبيل" أوردها النص موضوع الدراسة لم ترد عند المؤرخين، خاصة أولئك الذين اهتموا بهذه الإصلاحات والمآثر والأعمال الخيرية التي تمت في عهد المتوكل[٤]،بالإضافة إلى أن هذا الخليفة قد حظي باهتمام كبير ورصد دقيق لكثير من

إصلاحاته وأعماله الخيرية التي قام بها داخل مكة وخارجها، وفي الحرمين الشريفين بصفة عامة، وفي المشاعر المقدسة على وجه الخصوص[٥]، وإذا كانت هذه المآثر والإصلاحات التي اهتم بها المؤرخون والباحثون على حد سواء ولا أرى مبرراً لإعادة ذكرها، فإننا يجب أن لا ننسى أن المتوكل هو أول من عمل على اختصار طريق الحج بين مكة والمدينة في بعض أجزائه حين استحدث طريق "ودّان" الذي يمر بمنزلة السقيا بدلاً من الأبواء التي يمر بها الطريق الرئيسي، ويتميز هذا الطريق بكثرة عيون الماء وغزارتها رغم ما فيه من صعوبة، بحيث يسير فيه حتى يصل إلى ثنية هرش بالقرب من البحر الأحمر وزوده بالأعلام والأميال لتحديد المسافات[٦]، فلا غرابة إذاً أن يأمر بعمارة مضرب في مشعر عرفات كشف لنا عنه النص دون غيره وأن يتهم بطرق الحج وغيرها، لا سيما وأنه كانت لديه فكرة سابقة عن طرق الحج وكل ما يحتاجه عندما تولى إمارة الحج سنة٢٢٧هـ/٨٤١[٧]، قبل أن يتولى الخلافة.

وهنا يظهر دور إمارة الحج الإيجابي في تيسير طرق الحج وتأمينها وتزويدها بالمرافق وخلافه لأن أمراء الحج هم أقدر الناس على القيام بهذه الهمة، وتذليل كل العقبات وما يواجه الحاج من مشكلات في طريق الحج[٨].

ويبدو أن الخليفة المتوكل بما لديه من خبرة سابقة في إمارة الحج ربما أراد بعمارة هذا المضرب كمكان يستريح فيه الحاج وابن السبيل داخل المشاعر المقدسة الاقتداء بأول من أدرك أهمية إقامة الاستراحات للحاج والمعتمر وابن السبيل وهو الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ وقت مبكر عندما توجه رضي الله عنه من المدينة إلى مكة المكرمة، وطلب منه أصحاب المياه والنزل الإذن لهم بإنشاء استراحات اشترط عليهم رضي الله عنه أن يجد الحاج والمعتمر وابن السبيل فيها المأوى المناسب واشتهر عنه رضي الله عنه قوله:" ابن السبيل أحق بالماء والظل"[٩].

وهو ما جعل المؤرخ محمد بن سعد يثني على ما قدمه عمر رضي الله عنه من خدمة عظيمة للحاج والمعتمر وعابر السبيل على حد سواء حين أمر بإنشاء استراحات تتوفر فيها كل وسائل الراحة والمأكل والمشرب وخاصة الدقيق والسويق والزبيب[١٠].

وربما أراد الخليفة المتوكل بإنشائه لهذا المضرب أن يقتدي أيضاً بما فعله من سبقه من العباسيين، وخاصة السيدة الخيزران زوجة الخليفة المهدي(توفيت سنة١٧٣هـ) عندما أمرت بإنشاء سقايتين داخل مكة أحداهما بفناء دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا، والأخرى عند باب الحناطين[١١]، أحد أبو المسجد الحرام[١٢].

ولا يستبعد أيضاً أن يكون الخليفة المتوكل أراد أن يترسم خطى السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد(توفيت١٩٤هـ) عندما أمرت بإنشاء أماكن لاستراحة الحجاج في كل من منى وعرفات وزودتها بأحواض مياه الشرب وحفرت بها الآبار وأوقفت على هذه الآبار من مالها الخاص ما يوازي ثلاثين ألف دينار سنوياً[١٣]، وهي التي بزّت كل من سبقها من خلفاء وأمراء ورجال دولة في أعمالها الإصلاحية في مكة المكرمة

والمشاعر المقدسة أو خارجها على طريق الحج[١٤].

وتبدو أهمية النص موضوع الدراسة والذي ورد فيه ذكر "مضرب"أن فائدة هذا الضرب لا تقتصر على الحجاج في موسم الحج فحسب، بل إن فائدته مستمرة طوال العام بدليل ما ورد في السطرين التاسع والعاشر من النص بقوله" وابن السبيل" أي العابر للطريق الذي يمر بعرفة، مما يرجح معه أن هذا المضرب كان يقوم بوظيفته على أكمل وجه طيلة العام ويحقق لأبناء السبيل الراحة، فيما يعد إضافة حقيقية أوردها النص لإصلاحات قام بها الخليفة المتوكل لم يرد لها ذكر عند المؤرخين أو الرحالة أو الباحثين المحدثين على حد سواء.

وهنا يبرز سؤال هو: هل هذا المضرب الذي أمر بعمارته الخليفة المتوكل بمشعر عرفات للحاج وابن السبيل يحتوي على كل المرافق والطعام والشراب وكل ما يحتاجه الحاج يوم عرفة؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه مكاناً يستريح فيه الحاج وابن السبيل يستظل به من حرارة الصيف ويتقي برودة الشتاء؟

والراجح هو أن منشأة مثل هذه يأمر الخليفة المتوكل ابنه وولي عهده بعمارتها في مشعر عرفات لا تخلو من تقديم الطعام والشراب وكل ما فيه من راحة للحاج، أما أبناء السبيل وبقاء هذا المضرب عامراً لهم طول العام بالطعام والشراب فهو ما لا أستطيع تأكيده أو نفيه، لأن النصوص التاريخية لم تسعفنا بأي معلومات عن هذا المضرب مطلقاً، ولا نستطيع في هذه الحالة أن نحمل هذا النص الذي ندرسه هنا أكثر مما يحتمل.

ومهما يكن من أمر فإن إنشاء هذا المضرب ونقش اسم الخليفة الآمر به في نصنا هذا لا يخلو من مغزى وهو تخليد ذكراه ورجاء لما عند الله والقربة إليه سبحانه وتعالى، كما ورد في السطرين العاشر والحادي عشر من النص.

أما ثاني الأسماء الواردة بالنص فهو:

محمد المنتصر بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور[١٥]، بويع له بولاية العهد ثم أراد والده المتوكل عزله وتولية أخيه المعتز بالله لمحبته لأمه، فقام والده بتهديده حين سأله النزول عن ولاية العهد فأبى المنتصر أن يتنازل،وانتهي الأمر أن اتفق الأتراك على قتل والده فقتلوه[١٦].

وكان المنتصر بالله وافر العقل، راغباً في الخير، قليل الظلم، محسناً للعلويين، ولم تطل مدة خلافته لأنه ولي بعد مقتل أبيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، ومات في ربيع الآخر من سنة ثمان وأربعين ومائتين، وعمره ست وعشرون سنة[١٧].

وهنا ملاحظة يجب أخذها في الاعتبار وهي أن معظم المؤرخين يذكرون أنه ولي إمارة الحج سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م، ولم يذكروا مطلقاً أنه ولي إمارة الحج سنة٢٤٥هـ/٨٥٩م وهي السنة التي أمره والده الخليفة المتوكل بعمارة "المضرب" كما

ورد في النص، بل يذكرون أن أمير الحج في سنة ٢٤٥هـ هو محمد بن سليمان بن عبد الله العباسي[١٨].

وهنا تظهر عدة احتمالات:

أولها: أن الخليفة المتوكل قد أرسل ابنه وولي عهده المنتصر بالله خصيصاً لمكة لعمارة هذا المضرب بمشعر عرفات سنة٢٤٥هـ قبل موسم الحج بوقت كاف.

ثانيها: أن المنتصر بالله جاء مع أمير الحج الذي تذكره المصادر التاريخية محمد بن سليمان وهو مكلفٌ من قبل والده بعمارة هذا المضرب وأرسل معه المنفذ لعمارة المضرب دون أن يسند إليه إمارة الحج.

وثالثها: هو أنه فات على المؤرخين أن المنتصر بالله كان هو أمير الحج وليس محمد ابن سليمان كما يذكرون ومكلف أيضاً بعمارة هذا المضرب من قبل والده، وإذا ثبت ذلك فإن النص يعتبر إضافة جديدة بالنسبة لإمارة الحج يضيف فيها إسناد هذه الإمارة للمنتصر بالله سنة ٢٤٥هـ. إضافة إلى سنة ٢٣٦هـ التي أشار إليها المؤرخون وتصحيحاً لما أوردوه من أن محمد بن سليمان هو الذي كان أميراً للحج سنة ٢٤٥هـ.

وثالث الأسماء الواردة بالنص هو:

عبد الله بن عمر مولى الخليفة المتوكل على الله، والذي لم تفصح لنا المصادر التاريخية أو كتب التراجم عنه بأي ترجمة تميط اللثام عن بعض جوانب حياته.

وعلى أية حال فإنه يبدو أنه رجل كان على دراية تامة وخبرة كافية بفن العمارة جعلت الخليفة يختاره لتنفيذ عمارة هذا المضرب،تماماً مثل اختياره لابنه وولي عهده المنتصر كمشرف على هذه العمارة.

وورد في النص لفظ "مَضْرَبْ"

والمضرب في اللغة فسطاط الأمير أو السلطان إذا كان كبيراً، ولا يطلق الفسطاط على المضرب إلا إذا كان مخيطاً[١٩].

ومن خلال هذا التعريف ومقارنته بما ورد في النص نلاحظ أن المضرب يطلق على "البناء" و"الفسطاط" يطلق على "المخيط" بدليل ما ورد في السطرين الثامن والتاسع من النص بقوله: " بعمارة هذا المضرب" مما يوضح الفرق بين الفسطاط والمضرب.

ويبدو أن المضرب هنا هو أشبه ما يكون بالاستراحة التي يجد فيها الحاج والمسافر وعابر السبيل وطالب النزهة بغيته، فضلاً عن أن الفسطاط يختلف عن المضرب لأنه مخيط من صوف أو غيره ويحتمل نقله أو طيّه بعد انتهاء مهمته، بينما المضرب بناء ثابت وعمارة قائمة.

الألقاب والوظائف الواردة بالنص:

ورد بالنص عدة ألقاب أولها لقب"الإمام" في السطر الثالث من النص، وهو مصطلح ظهر على كثير من الآثار العربية بدلالات وظيفية مختلفة، وهو في جميع الحالات مشتق من "أمَّ" أي تقدم وأصبح قدوة[٢٠]،وجاء هذا اللقب في آيات كثيرة في القرآن

الكريم منها ﴿ ﴾ (٢١)، وقوله تعالى: ﴿ ﴾ (٢٢).
ومن أبرز استعمالاته إطلاقه على ولي الأمر أو الحاكم وجاء بهذا المعنى في أحاديث نبوية شريفة منها" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته... الخ"(٢٣).
وكان يرد في سلسلة الألقاب قبل الاسم بعكس لقب أمير المؤمنين الذي يرد في معظم الأحيان بعد الاسم(٢٤).
ولم يقتصر لقب"الإمام"على الخلفاء بل أطلق على من يتولى سلطة في الدولة كالسلاطين وورد في كثير من الكتابات الأثرية ملحقاً بأسماء بعض سلاطين المماليك"(٢٥).
وثاني هذه الألقاب هو لقب"المتوكل على الله" وهو من الألقاب المركبة كنعت خاص للخليفة جعفر بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد ولم أجد له مثالاً على الآثار إلا في حالة إضافته لوظيفة كالمتوكل بالطراز الذي أورده د.حسن الباشا كمثال على إضافته لوظيفة(٢٦).
وثالث هذه الألقاب هو لقب"أمير المؤمنين" وهو من الألقاب المركبة، ويقصد بالمؤمنين المصدقين تصديقاً قلبياً بعقيدة الإسلام(٢٧).
ولقب "أمير المؤمنين"هو ثاني ألقاب الخلفاء ظهوراً بعد لقب"خليفة"، وأول من لقب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢٨).
وقد ورد في كثير من الكتابات الأثرية، وهو الاسم الرسمي لخلفاء النبي صلى الله عليه وسلم في الولاية العامة والحكم والسلطان على المسلمين،وكان لأمير المؤمنين حق الطاعة على جميع المسلمين(٢٩).
وقد غلب استخدام هذا اللقب كاسم لوظيفة لا كلقب فخري فاتخذه الخلفاء الراشدون،وخلفاء بني أمية في دمشق، وخلفاء بني العباس في بغداد والقاهرة، والفاطميون في المغرب ومصر،وبنوا أمية في الأندلس،والموحدون منذ عهد عبد المؤمن بن علي،وبنو حفص والزيدية في اليمن وغيرهم،وقد وصلتنا كتابات أثرية كثيرة جداً ترجع إلى عصور هذه الدول لقب فيها حكامها بأمير المؤمنين(٣٠)،وهذه الكتابات كثيرة جداً وهي تفوق الحصر، وإذا كان لنا أن نضيف شيئاً هنا فهو أن الدكتور حسن الباشا قد أورد أقدم مثال له أطلق فيه لقب "أمير المؤمنين" على الخليفة جعفر الوارد اسمه بالنص، هي الكتابة المنقوشة على مقياس النيل بجزيرة الروضة بمصر مؤرخة بسنة٢٤٧هـ/٨٦١م(٣١) ونحن نضيف هنا أن نصنا هذا موضوع الدراسة قد أورد لقب أمير المؤمنين على الخليفة جعفر المتوكل المشار إليه قبل ذلك بسنتين حين ورد في نصنا موضوع الدراسة المؤرخ بسنة ٢٤٥هـ مما يجعل نصنا هذا أقدم مثال ورد به هذا اللقب حتى الآن على حد علمي.
وورد في النص لقب"ولي عهد المسلمين" في السطرين السادس والسابع "وولي العهد"

هو الذي كان يعهد إليه بأن يخلف ولي الأمر من خليفة أو سلطان أو ملك أو غيرهم في مناصبهم،ولم تستقر ولاية العهد بالخلافة إلا في العصر الأموي منذ أن ولىّ معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد،وظل هذا التقليد متبعاً في الدول الإسلامية المختلفة(٣٢).

أما لقب"ولي عهد المسلمين"فهو مشتق من لفظ"ولي" وكان يطلق على ولي عهد أمير المؤمنين أو أمير المسلمين(٣٣).

ويشير الدكتور حسن الباشا إلى أقدم كتابة أثرية ورد بها اللقب بمكة المكرمة مؤرخة بسنة٢٧٢هـ أطلق فيها هذا اللقب على أبي أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أطال الله بقاءه(٣٤).

ولكن نصنا هنا موضوع الدراسة يعتبر أقدم بكثير من النص الذي أورده الباشا بسبع وعشرين سنة.

وورد في النص لقب "مولى أمير المؤمنين"

والمولى على سبيل التحقيق هو العبد المعتَق المنسوب إلى من أعتقه، والموالي ثلاثة أنواع، مولى عتاقة ومولى عقد،ومولى رحم.

ولفظ"مولى" يطلق على الحليف وعلى الجار وعلى التابع وعلى السيد،واستخدم لفظ مولى كلقب فخري ودخل في تكوين كثير من الألقاب المركبة الفخرية(٣٥) والتي تفوق الحصر.

وقد ورد لفظ مولى أمير المؤمنين على كثير من الكتابات الأثرية حينما كان للخلفاء والولاة والأمراء ثقة كبيرة بمواليهم فكانوا يعهدون إليهم بأكثر شئونهم،أو بالإشراف على كثير من المؤسسات والعمائر كما يتضح من الكتابات الأثرية التذكارية(٣٦)،ويعتبر نصنا هذا من الشواهد الواضحة على ثقة الخليفة جعفر المتوكل بمولاه عبد الله بن عمر حينما أسند إليه تنفيذ مضرب للحجاج وأبناء السبيل في عرفات.

تحليل النص:

١- نقش النص على لوح جرانيت بالخط الحجازي المزوي الغائر المورق بحيث ظهر التوريق في أعلا الحروف،وبخاصة حروف الألفات واللامات بينما تخلو نهايات الحروف تقريباً من التوريق ويظهر هذا التوريق في بدايات الحروف في الأسطر الستة الأولى التي تشتمل على البسملة واسم الخليفة واسم ولي عهده وابنه المنتصر بالله.

٢- وفق الخطاط إلى حد بعيد في توزيع الحروف والكلمات في الأسطر الستة الأولى إلا أنه من السطر السادس وحتى نهاية النص قد صغر حجم الكلمات وكثر عددها، وربما كان للمساحة المخصصة للكتابة أثر في ذلك جعلت الخطاط يكثر من عدد الكلمات ويصغر من حجمها حتى يتمكن من كتابة سائر النص في المساحة المخصصة.

٣ - ورد بالنص عدة ألقاب كلقب"الإمام"ولقب"أمير المؤمنين"ولقب"الأمير" ولقب

"المنتصر بالله" ووظيفة"ولي عهد المسلمين" وهو ما تحدثنا عنه بالتفصيل في الصفحات السابقة عند الحديث عن الوظائف والألقاب الواردة بالنص.

٤- يلاحظ أن النص لم يقتصر على ذكر اسم الآمر بعمارة هذا المضرب وهو الخليفة المتوكل،وكذلك اسم المشرف المكلف بهذا العمل وهو ابنه وولي عهده محمد المنتصر بالله بل والمنفذ لهذا العمل، وهذا النص من النصوص القليلة والنادرة التي ورد بها اسم مشرف يمت بصلة القرابة للخليفة وهو ابنه وولي عهده لأن النصوص التي ورد بها أسماء مشرفين وهي كثيرة وتفوق الحصر إلا أنه على حد علمي لم يكن هذا المشرف من نفس الأسرة،وإنما يكلف الخليفة أو السلطان أحد رجاله ممن يثق بقدرتهم على تنفيذ العمل فضلاً عن أن الخليفة المتوكل لم يكلف ابنه وولي عهده بهذه العمارة إلا وهو يعلم مدى قدرته على الإشراف على العمل على الوجه المطلوب.

كما ورد اسم من أسند إليه تنفيذ هذا العمل وهو عمارة مضرب بمشعر عرفات وهذا المكلف هو عبد الله بن عمر مولى أمير المؤمنين.

٥- يعتبر خط النص على درجة كبيرة من الإتقان وهذا ليس غريباً لأنه نقش في منتصف القرن الثالث الهجري وهو القرن الذي تميز بجودة الخط ليس في بغداد عاصمة الخلافة بل وفي الحجاز أيضاً مما يدل على أن الخطاط المكي على دراية بكل الإصلاحات والتطورات التي دخلت على الخط العربي وخاصة المنقوشة منها، ولذلك فإن هذا النقش يعتبر في مصاف النقوش المتقنة، وإن كانت كتابته في غاية البساطة والوضوح ولم يكلف الخطاط الذي نقشه نفسه بالإسراف في الزخرفة كما هي عادة الخطاط الحجازي الذي أظهر لنا نماذج في غاية الجمال وزخارف في غاية الدقة والإتقان كما هو الحال بالنسبة لنقوش مبارك المكي الخطاط الشهير المعاصر لنقشنا هذا وخاصة تلك التي نقشت سنة ٢٤٣هـ. ولذلك فإني سوف أرجئ الدراسة المقارنة في البحث لأن دراسة نقش أو نقشين منفردين قد لا تأتي بالصورة الواضحة لما وصلت إليه الكتابات من تطور وسوف أقوم بدراسة هذا النقش وغيره من النقوش الأخرى الحجازية التي تنتمي إلى القرن الثالث الهجري دراسة مستقلة تظهر مدى ما وصل إليه الخط الحجازي من تطور سواء في مجال الكتابة أو في مجال الزخرفة بل ربما تظهر هذه المقارنة مدى تفوق مدرسة الحجاز في الخط والزخرفة على غيرها من المدارس الإسلامية الكبرى في بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من العواصم التي تمكنت فيها الكتابة العربية سواء الكتابة التحريرية أو الكتابة المنقوشة.

الهوامش والتعليقات:

(١) سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، جـ٢،آثار منطقة مكة المكرمة،الرياض، دار الهلال، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٦.

(٢) الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات،ط بيروت،دار صادر، أكتوبر ١٩٧٣م، ص٢٦٠.

(٣) الطبري،محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م،ص ص١٦٣، ٢١٠، جـ٥، ص٢٨٠.

(٤) الحربي،إبراهيم بن إسحق، كتاب المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض،دار اليمامة،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ص٣١٩، ٣٤٤.

(٥) الراشد، سعد بن عبد العزيز، درب زبيدة، الرياض، دار الوطن، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٥٣ وما بعدها.

(٦) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط،بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٣٩٧.

(٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، تحقيق سهيل زكار، ط، دمشق ١٩٧٨م، ص٤٧٨.

(٨) سليمان بن صالح كمال، إمارة الحج في العصر العباسي(١٣٢ ـــ ٢٤٧هـ)، رسالة ماجستير لم تطبع، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ص٢٥٣، ٢٦٨.

(٩) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٦٩ وانظر، سعد الراشد، درب زبيدة، ص٣٤.

(١٠) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى،جـ٣، بيروت،دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ص٢٨٣، ٣٠٦، وانظر سعد الراشد، المرجع السابق، ص ص٣٤ـ ٣٥.

(١١) باب الحناطين، وهو الباب الذي سُمي فيما بعد بباب إبراهيم في الناحية الغربية من المسجد الحرام، انظر،تقي الدين الفاسي،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق مجموعة من العلماء، بيروت، نشر دار الكتب العلمية،ص٢٢٤.

(١٢) الحربي،كتاب المناسك وطرق الحج، ص ص٢٨٢ـ ٣٢٥.

(١٣) اليعقوبي،أحمد بن أبو يعقوب، مشاكلة الناس لزمانهم،بيروت،دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٢٤٥،وانظر سعد الراشد، درب زبيدة، ص٦٧.

(١٤) محمد فهد الفعر،"دراسة وتحقيق لأقدم وثيقة وقف من القرن الثالث الهجري لخدمات الحجاج والمعتمرين"، الندوة العلمية الكبرى بمناسبة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، جامعة أم القرى،المحور الخامس، ص٥٨.

(١٥) الكتبي، محمد بن شاكر،فوات الوفيات،جـ٣، بيروت، دار صادر، مارس ١٩٧٤م، ص٣١٧.

(١٦) المصدر نفسه، جـ١، بيروت دار صادر، أكتوبر١٩٧٣م، ص٢٩١.

(١٧) المصدر نفسه،جـ٣، ص٣١٨.

(١٨) الطبري،تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص٢١٣.

(١٩) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب، ط١، بيروت، دار صادر، د.ت، ص٥٥١ ، وانظر، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي،د.ت. ص٥٣٩.

(٢٠) حسن الباشا،الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص٩٢.

(٢١) قرآن كريم، سورة البقرة، آية ١٢٤.

(٢٢) قرآن كريم، سورة الفرقان،آية ٧٤.

(٢٣) حسن الباشا، المرجع السابق،جـ١،ص٩٣.

(٢٤) المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

(٢٥) حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ص١٧٢ ــ ١٧٥.

(٢٦) الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية،جـ١، ص ص٩٩٥ ــ ٩٩٦.

(٢٧) حسن الباشا، الألقاب، ص١٩٤.

(٢٨) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٢٩) حسن الباشا، الفنون والوظائف،جـ١، ص٢٧١.

(٣٠) المرجع نفسه،نفس الجزء، ص٢٧٣.

(٣١) المرجع نفسه، نفس الجزء، ص٢٧٥.

(٣٢) حسن الباشا،الفنون والوظائف،جـ٣،ص ص١٣٤٦ــ ١٣٤٧.

(٣٣) المرجع نفسه، ص١٣٤٧.

(٣٤) المرجع نفسه، ص١٣٤٨.

(٣٥) المرجع نفسه، ص١١٦٩.

(٣٦) المرجع نفسه، ص١١٧٠.